ظاهرة الرمز والعنونة الرمزية
في الشعر الفلسطيني المعاصر

الأستاذ المساعد الدكتور عاطي عبيات

الأستاذ المساعد الدكتور علي مطوري

جامعة الشهيد جمران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية

ظاهرة الرمز والعنونة الرمزية في الشعر الفلسطيني المعاصر

الأستاذ المساعد الدكتور
عاطي عبيات

الأستاذ المساعد الدكتور
علي مطوري

جامعة الشهيد جمران ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية

المقدمة:ـ

فلسطين أرض الأديان السماوية، ومسرى حبيبنا سيّد البشرية محمد ابن عبد الله ﷺ ملهمة الأدباء والشعراء بما خصها الله عز وجل، من كونها أرض الرباط، وستبقى وعد المؤمنين بالنصر المبين، وهي أرض المحشر والمنشر، ولأنّ الجهاد بالكلمة والسلاح على أرضها المقدسة مستمر حتى بزوغ شمس الحرية، فسيظل أهلها الشعراء والكتّاب يبدعون في حمل الرسالة الخطيرة ألا وهي تحرير أرض فلسطين واستعادة الوطن السليب فهي المحور الأول والأخير في كل إبداع وإبتكار.

تعرضت الساحة الأدبية الفلسطينية نتيجة العدوان الغاشم من قبل المحتل الإسرائيلي واحتلال فلسطين عام ١٩٤٨ ونكسة حزيران عام ١٩٦٧ لهزات سياسية واجتماعية وثقافية عنيفة، ولّدت الحزن والأسى في المثقف العربي وأسفرت عن خيبة أمل كبيرة لديه. لكنّ هذه الهزات الإرتدادية التي راحت تضرب فلسطين المحتلة وما رافقتها من خطط لتذويب الثقافة العربية وطمس الهوية الفلسطينية وتهويدها، لم تسطع كسر عزيمة الشعراء والأدباء في فلسطين، بل دفعتهم بقوة نحو الإبتكار والتجديد والعمل على تكسير مفاصل القصيدة التقليدية والتحرر من أوازنها وتعقيداتها والتفاعل مع الرموز بكافة أشكالها واستخدام الأساطير والتكنيكات الدرامية الحديثة لتوليد أنماط تعبيرية جديدة والإرتقاء بالقصيدة على مستوى الحدث؛ لمواجهة العدوان الصهيوني. فالشاعرالفلسطيني كان أقرب ما يكون إلى ساحة المعركة ويصرّ دائماً على إنّ الكلمة هي الخبز والسلاح في أيدي الثوار كما يقال فهي تستطيع كما يقال أن تتوهج لتكون نوراً وناراً، نوراً ينير الدرب أمام

شعبه، وناراً تحرق المحتلين؛ لذلك كان الشعر أصدق تعبيراً عن روح الشعب الفلسطيني وثورته وعن أمته وتطلعاتها. ونظراً لما يلعبه الشعر كأحد أشكال الوعي الاجتماعي في التعبئة وتحريض وتثوير الشعوب والأمم؛ لإسترداد حريتها وكرامتها من قوى الشرّ والطغيان هذا بالإضافة إلى وظيفته الجمالية باعتبارهِ قيمة فنية مضافة للحياة يساهم في إعادة صياغتها وإنتاجها جمالياً.

وفي ظل الاحتلال البغيض والنكسات التي رافقت الثورات العربية لتحرير الأراضي المحتلة فجأة نفذ الشعر الفلسطيني الغبار عن كاهله وتحرر من القيود(القصيدة الكلاسيكية) التي لم تكن بمستوى الحدث ((ولكن بمثل المفاجأة تطور هذا الشعر إلى المعاصرة، وأخذ يستخدم الرموز ومختلف أدوات الشعر الحديث بعمق وشفافية، يستوعبها القارئ، لماذا هذا التطور السريع عند هؤلاء؟! لأنّ المعركة ذاتها في توتّبها الدائم هي في لحومهم وأذهانهم، ولأنّهم موهوبون في قلب النار)) (دكروب ١٩٨٤، ٢٠٧) ولذلك كان على الشعر الفلسطيني أن يخوض معركة شاملة وأن يكون متميزاً في الشكل والمضمون ولهذا السبب أخذت خريطة هذا الشعر تجمع في ثناياها الايقاع والايحاء والرمز والعنونة الرمزية ومعطيات فنية أخرى للخصوبة النص وإثرائه ليساير تطورات الأحداث على الأرض والحداثية الشعرية كي تصبح مفرداته من عيار ثقيل تدك حصون العدو وقنابل تقض مضاجعه وحجارة تدمي جباهه.فالشاعر الفلسطيني المقاوم في شعره النضالي وظّف قِصداً لا يستهان به من الرموز والدلالات والايحاءات، للتعبير عن قضاياه الوطنية وعكف على استخدامها في فنونه الشعرية بكثافة، خلقت منها مادة معرفية دسمة، تنعكس من خلالها الإنجازات البشرية للتفاعل مع رواءه المنشودة لتوليد دلالات حديثة تتماشى مع روح العصر وتطلعات وطموحات الشاعر. فأصبحت للرموز بكافة مستوياتها أهمية قصوى للشاعر الفلسطيني المعاصر، بحيث غداً استدعاؤها أمراً يثرى المضمون الشعري، ويكشف عن المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة. فالرموز التراثية ومعطياتها لها القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد ((حيث تعيش هذه المعطيات في وجدانات الناس واعماقهم، تحف بها هالة من

القداسة والإكبار، لأنّها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي، ومن ثم فإنّ الشاعر حين يتوسل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعورية عبر جسور من معطيات التراث والرموز، فإنّه يتوسل إلى ذلك بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفاد. هذا بالإضافة إلى إنّ استخدام الرموز ومعطياتها التراثية تضفي على العمل الشعري عراقة وأصالة وتمثل نوعاً من امتداد الماضي بالحاضر، وتغلغل جذور الحاضر في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّه تمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول والكلية، بحيث تجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر(حداد،١٩٨٦،٧٤)

وعلى هذا الأساس ظهر في الشعر الفلسطيني منذ منتصف الستينيات ثمة تيار قويّ يبتعد عن التقريرية والمباشرة والتسطيح انطلاقاً من قناعات مفادها أنّ الشعر الذي يفهم من أول قراءة ليس بشعر، وبالتالي فهم يعمدون إلى توظيف أشكالاً من التعبير المتخيل والمبطن لتوصيل الأفكار والعواطف من خلال الإيحاء والإيماء بها عن طريق التصوير الرمزي لا التعبير المباشر والصريح.

فهذا الأسلوب الإيحائي من شأنه الارتقاء بالصورة الشعرية وإسعافها بطاقات إيحائية وإبعادها عن الرتابة والغنائية البحتة، كما تسعف الشاعر على التقنع والبوح عن مكنونات نفسه وإيصال ما يدور في خلجات نفسه إلى المتلقي. وبناءاً على هذه المعطيات يعتبر الرمز الشعري من أهم الوسائل الفنية التعبيرية التي لجأ إليها الشاعر الفلسطيني في الداخل، للتعبير عن مقاصد تجربته الشعرية ومحمولاتها وسط الكبت والقمع الشديد الذي يمارس من قبل المحتل الصهيوني.

فبالتالي إنّ الرموز عامل مؤثر في إغناء الصورة وفي رفد أبعادها أبعاداً جديدة وآفاقاً متنوعة وكذلك فإنّ وجود الرمز يستحضر معه مفردات خاصة به، وهذه المفردات تؤدي إلى تخصيب الصورة وإغناء مناخاتها.

الخليفة التاريخية:ـ

الشعر الفلسطيني المعاصر بسبب خصوصيته الفريدة والمتميزة التي حظي بها على الصعيد العربي والعالمي، تناولته الكثير من الدراسات والأبحاث في مجالات شتي ولم

تختصر تلك الأبحاث على موضوع بعينه.فتنوع تلك الدراسات أسهمت إلى حدٍ ما في تطويره ومنح أصحابه زخماً معنويا، فقد حاول كثير من الدارسين الوقوف عند محطة الشعر الفلسطيني، باذلين في ذلك جهداً مشكوراً مضيفين إلى مكتبة الشعر العربي المعاصر لبنات خصبة ومضيئين لكثير من جوانب هذا النبع الزاخر، فالمحاولة التي تقوم بها هذه الدراسة لا تعدو أن تكون وجهة نظر مجتهدة في تحليل ورصد ظاهرة التناص والرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر.وعلى حد ظنّنا ومتابعتنا لم نجد دراسة عنيت بشكل خاص بهذا الموضوع بل كلما ما وجدناه سطوراً متناثرةً حول شاعر أو شاعرين، وتعترف هذه الدراسة بجهود السابقين وتقدرها حقّ قدرها.ومن أهم الدراسات التي عثرنا عليها في هذا الصدد مقال ((توظيف النص الجاهلي في جوانب من الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد٢٢ ،٢٠٠٨م)) لأحمدي منصور وأحمد رحاحة والذي تناول النصوص الشعرية الجاهلية وفحواها في النص الشعري الفلسطيني، ومدى وئامها مع تجربة شعراء فلسطين. ومقال ((التناص في مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة))، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ٢٠٠٦م للكاتب حمدان، عبد الرحيم حمدان ومقال ((الرموز التراثية في شعر عزّ الدين مناصرة، مجلة جامعة دمشق،٢٠١٠م)) للباحث إبراهيم منصور الياسين. ومقال للباحثين **عاطي عبيات ويحيى معروف** تحت عنوان ((وسائل إثراء الدلالة في الشعر الفلسطيني المقاوم - أنموذجاً لطفي زغلول)) مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات،العدد٢٩، صص٩٧-١٣٢. ومقال للكاتب خالد الكركي تحت عنوان ((رموز الرفض والثورة في الشعر العربي الحديث ١٩٧٨ مجلة دراسات، جامعة - الأردن، المجلد١٤، العدد٧)) ودراسة (توظيف التراث في شعر سميح القاسم للباحثة لؤلؤة حسن عبدالله٢٠١٠م) ومقال للباحث، **عاطي عبيات** (١٣٩١ هـ.ش) بعنوان ((التواصل بالرموز وإفرازتها الدلالية في الشعر الفلسطيني المقاوم)) مجلة اللغة والأدب العربي وهي مجلة محكمة تصدر من جامعة شهيد جمران أهواز، العدد٢،صص٤٠-٧٠. ومقال للباحثين **عاطي عبيات ومحمود شكيب أنصاري (٢٠١٣م)** تحت عنوان ((رمزية اللون ودلالاته في الشعر الفلسطيني المعاصر))، مجلة جامعة الخليل للبحوث المحكمة. ٢٠١٤م.

ظاهرة الرمز ودوافع اللجوء للترميز في القصيدة الفلسطينية المعاصرة:

لم تعرف القصيدة الفلسطينية الكلاسيكية تطوراً وتجديداً وثراء كما يقال، كالذي عرفته القصيدة الفلسطينية المعاصرة من حيث إيقاعها، وصورها، وبناؤها، وفضاؤها، ولقد أسهمت مؤثرات اجتماعية وحضارية وثقافية في هذا التطور، ولعل أبرزها التفاعل مع الحضارات الأخرى بما تشتمل عليه من رؤى واتجاهات ومدارس، وهذا يعني أنَّ القصيدة الفلسطينية المعاصرة تتميز بخصوصيتها من حيث تفاعلها الخارجي مع الواقع، وتفاعلها مع الميراث الإنساني، ففي الوقت الذي تمتح فيه من الميراث العربي وتستثمر رموزه ومواقفه وأفكاره، تنهل من تراث الأمم الأخرى وتتأثر بثقافاتها، مما أضفى عليها طوابع تجديدية لم تكن معروفة من قبل. فالتجديد الذي لحق بالقصيدة العربية عموماً والفلسطينية خاصة، شمل التجديد في اللغة والتجديد في المضمون وفي الموسيقي ونظام التفعيلة.

فالشاعر الفلسطيني في أثناء خلق لغته الرمزية إنما يتجاوز اللغة المعجمية المألوفة، وخلق الشاعر - هنا - يعني تأسيساً جديداً لكيان الأشياء عبر لغة لها مفرداتها ودلالاتها الثرية، ومن ثم تتوالد أبعاد رمزية في النص الشعري، وهي ليست وليدة موضوع أو حدث أو قضية يُعنى بها الشاعر، وإنما هي وليدة الكيفية التي يتفاعل فيها الشاعر مع لغته، بمعنى أنه يتجاوز المعجمية المألوفة والنفاذ إلى القوانين التوليدية الكامنة بها. فالرمز ليس محاكاة للواقع الجامد، بل هو تحطيم لعلاقات الطبيعة، وهنا تكمن حركية الرمز وحيويته وإيحائه فالرمز كونه أسلوباً من أساليب التصوير أو وسيلة إيحائية من وسائله، يعتبر تقنية عالية في رفع شأن الصورة وإثرائها.

لذلك لجأ الشاعر الفلسطيني إلى استخدام الرمز كوسيلة فنية للتعبير الغير المباشر عما يريد وتقنع بأكثر من شخصية تاريخية فتشبث بها وانطلق منها نحو ذاته، معبراً بوساطة التقنع بها عن مكنونات نفسه، مبيحاً عن طريق التقنع بتلك الشخصية عن أسراره إلى المتلقي. ولذلك يعتبر الرمز الشعري من الإنجازات المهمة في القصيدة الحديثة عموماً، ولقد بلغت من المكانة الفائقة الحد الذي قال عنه الشاعر العراقي

الكبير"البياتي": ((إنّ الرمز والأسطورة والقناع هي اقانيم القصيدة الحديثة، وبدونها تجوع وتعري وتتحول إلى مشروع أو هيكل عظمي لجثة ميتة)) (يخلف،١٩٧٧، ٢١) وعلى هذا فإنّ الكشف عن الرمز الشعري هو سبر أغوار القصيدة، والكشف عن عوالمها الباطنة، فالقصيدة الرمزية ((منجم ثري ومعني مكتنز يرتبط ثراؤها بالرمز أولاً وينتقل القارئ عبركيانه الكلي بعد مراعاة الموقف والإنطباع)) (الزبيدي، ٥) وطبقاً لهذه التعريفات يلعب الرمز كما يقال دوراً كبيراً في اتجاهات عديدة داخل نطاق التجربة الإنسانية بشكل عام والتجربة الفنية بشكل خاص، وكلاهما لا ينفصل عن الآخر ضمن العملية المعرفية لدى الإنسان. فالرمز يعمل على إثارة المعاني في ذهن المتلقي مما يثري ويزيد من خصوبة العمل المتلقَى، كما أنه يختص- أكثر من غيره من الوسائل التكنيكية- بالتعبير عن المكبوتات داخل النفس البشرية والتعبير عن الأجواء المبهمة التي تتسرب إلى أعماق الذات الإنسانية إذ إنه يمتاز بالقدرة على إعطاء دلالتين، أولهما تنتمي إلى عالم الحواس وثانيهما تنتمي إلى عالم الروح. هذا إلى جانب العديد من الخصائص الفكرية والتكنيكية التي يتميز بها الرمز. والتي تكفل له الفاعلية الفنية والفكرية داخل أي عمل فني أو تجربة إبداعية.

فالعوامل السياسية والاجتماعية التي هزّت الوطن العربي واحتلال إسرائيل لفلسطين،عام ١٩٤٨م وما ألحقته بالإنسان العربي والفلسطيني من أضرار كارثية، جعلت الشاعر العربي والفلسطيني، إزاء مجموعة من التناقضات مما دفعه إلى الخروج عن دائرة المألوف، والتمرد على قيم الثبات والجمود. فكانت القصيدة محطته الأولى، وميدان إبداعه (كندي، ٢٠٠٣، ٨) فلجأ إلى استخدام الرمز وأساليبه الإيحائية للتعبير عن واقعه المهزوم وإيصال رسالته الشعرية عبر وسائل تعبيرية غير مباشرة، كمخرج للهروب من بطش المحتل وتجنب اعتقال الكلمة ومصادرتها وإضفاء جمالية خاصة على القصيدة الشعرية، للبوح عن مكنونات نفسه عن طريق الإيحاء إلى المتلقي فلم تكن القصيدة الفلسطينية المعاصرة بدعة في هذا السياق، فلقد احتل الرمز مكانة مهمة في جسد النص الشعري، وأصبحت البنية الرمزية تشكل معلماً بارزاً من معالم التشكيل الفني للقصيدة الفلسطينية.وعلى هذا الأساس عكف شعراء فلسطين على

توظيف الرموز الفنية لمعانيهم، لا من أجل الجمال اللفظي فحسب ولا من أجل المحاكاة أو اثبات القدرة على ذلك ولكن ((من أجل إكساب المعنى بعداً رمزياً عميقاً دون أن يكون ضبابياً أو مغرقاً في الظلام)) فالجوء الشاعر الفلسطيني لإستدعاء التعبير الرمزي وفق ضرورة الواقع والظروف القاسية، التي عملت على إيجاده، دفعت الشعراء على استعماله كوسيلة انجع في التعبير والإيحاء وذلك منذ أن أُدركت سلطات الإحتلال بفاعلية الكلمة ودورها في تحفيز النضال وتوعية الجماهير وتنويرهم، عكفت علي كبت الحريات ومصادرة الإنتاج الشعري وملاحقة الإدباء وزجهم في السجون وتحديد إقامتهم، وابعادهم عن أرض الوطن ممّا حدا بكثير من الشعراء اتخاذ هذا اللون من التعبير ((وذلك كي تتمكن الكلمة من الوصول إلى الجماهير الفلسطينية والعربية خصوصاً، إذ بما أنّ الثورة هي منطلق رئيسي لشعر فلسطين المحتلة، فقد كان من المحتم على الشعراء كطليعة- أن يوقظوا جماهيرهم وينشروا فيهم الوعي على الظلم، من أجل أن يخلقوا نواة ثورية يستطيعون أن ينشئوا عليها بناء ثورة التحرر من الصهيونية، وقد كانت الكلمة وسيلتهم للوصول إلى الجماهير، فإذا اعتقلت الكلمة، انقطعت صلتهم بالجماهير، ومن هنا كانت ضرورة تجنيب الكلمة المصادرة والإعتقال، دافعاً قوياً للجوء إلى الرمز كلون من الوان التعبير وفي هذا الصدد يقول الشاعر المقاوم الفلسطيني "محمود درويش": ((كان من دوافع لجوئي إلى الرمز في البداية، محاولة تخطي الواقع الذي لا يتيح إمكانية الحديث بشكل مباشر، لأسباب سياسية، فكان لابد من ممارسة "الإحتيال الفني" لعكس الواقع وهكذا ترون أنّ الرمز كان ضرورة وحاجة ثم تحول إلى طريقة تعبير))(السابق، ١٤٦) فالإجراءات التعسفية التي فرضها المحتل لم تثن الشعراء من مزاولة أداء دورهم، فهم ((وجدوا في الرمز تحاليلاً وتغلباً على الرقابة العسكرية ومتنفساً وطريقة واعية للتعبير، تمكنهم من مواصلة إبداعهم الفني والدور المناط بهم، حتى أصبح الرمز نوعاً من التعامل الفني في تصوير الواقع وتخطي الرقابة)) (النقاش، ٢٠٠١، ١٣٦) فقد استولى التعبير الرمزي على وجدان الشاعر الفلسطيني خلال الخمسينيات وما بعدها وشقّ طريقه نحو كافة إنماط الأجناس الأدبية، كالقصة والمسرحية والرواية والفن التشكيلي وغير ذلك. وفي هذا المضمار لم يكن توظيف

تقنية الرمز من قبل الشاعر مقصورة على دافع واحد وهو ((الأمن والخلاص من قبضة السلطة)) كما يذهب الكثير من الكتّاب والباحثين، لكننّا في هذا البحث المضُني رصدنا بعض الدوافع التي لا تقل أهمية عن الدافع الأمني.

أهّم الأسباب التي رصدناه والتي دفعت الشاعر الفلسطيني لاستدعاء آلية الرمز هي كالتالي:

١- الخوف من سلطة المحتل الصهيوني في مصادرة الإنتاج الشعري واعتقال الكلمة.

٢- تعقيد الحياة المعاصرة من ناحية وتأثير ذلك في نفس الإنسانية من ناحية أخرى.

٣- الابتعاد عن التسطيح والرتابة في الفكرة وطلب التجديد وإثراء الصورة وتخصيبها بكلمات إشعاعية لتوليد الطاقة الإيحائية وفتح باب عالمية الإبداع.

٤- الرغبة الملحة في إثارة المتلقي وإذكاء وعيه بموروثه القومي والديني، والتاريخي.

٥- التعبير الرمزي يمثل أفضل طريقة تعبير في حالات الإرهاب السياسي الناجم عن المحتل الصهيوني.

٦- يتغير الأدب ويتطور والنفس الإنسانية تتوق إلى التجدد.

٧- ضيق اللغة العادية عن إستيعاب المشاعر المتدفقة في احتواء ما يسكن منطقة اللاشعور، والتي تمثل حقيقة الإنسان، فليجأ الشاعر كما يقال إلى إيجاد لغة في اللغة، ليتمكن من البوح بالخلجات النفسية. وإلى جانب هذا السبب، قد يلجأ الشاعر إلى الرمز على حد قول "عثمان حشلاف" لأسباب أخرى تتكاثف فيما بينها لتضطره إلى التيه في غابة الرموز، ومنها رغبات الإنسان، وازدياد مطالبه الروحية، أو محدودية العالم الخارجي وتصلبه في الزمان والمكان بالقياس إلى رحابة الفكر الإنساني، ومرونته، واتساع خياله (بوقاسة،٢٠٠٦، ٤٧)

٨- العوامل القومية والإجتماعية والنفسية كان لها الأثر المشهود في إقبال شعراء الأرض المحتلة نحو توظيف الرمز.

اللغة الشعرية والتطور الدلالي للرمز في الشعر الفلسطيني المقاوم:

إن اللغةَ الشعرية اكتشافٌ متواصلٌ لعوالم الإنسان الداخلية، وتنقيبٌ دائم عن المعنى وهذه اللغة المتفردة لها طبيعة خاصة تتنفس من خلال الحلم الإنساني، كما يتنفس الإنسانُ من خلالها. وبما أن القصيدة نظام لغوي كوني ينظر إلى الثقافة على إنّها حضارة لا بديل عنها، ومتنفّس لعناصر الطبيعة، كان لزاماً على النّص أن يُفعِّل القيمَ الإيجابية في المجتمع، ويَحرس الواقعَ المعاش من التآكل، ويؤسس في تفاصيل الحياة المادية رموزاً لغويةً قادرة على حمل إيقاع الرُّوح، وتوهجَ الحلم. فاللغةُ هي كَيْنونة الفرد، وهويةُ المجتمع، والتكوينُ المنطقي القادر على صياغة الأحلام وبناءِ الدلالة المعرفية الفاعلة في المنظومة الحياتية بكل تفاصيلها. ولا يمكن اعتبار اللغة الشعرية جزءاً هامشياً في تاريخ الوجود الإنساني، لأنها تاريخٌ متجدد قائم بذاته، ويتمتع بشرعية ذاتية، واستقلالٍ معرفي لا ينتظر اعترافاً خارجياً هذا يشير إلى إنّ اللغة الشعرية تتميز باكتفاء ذاتي قادر على تكوين البنى الاجتماعية والثقافية داخلياً وخارجياً، أي داخل المستوى الرمزي للكيان القصائدي وخارج الأطر الواقعية المحصورة بالزمان والمكان. فاللغةُ لا تكتفي بالتواجد في الواقع المحسوس الذي يعيشه الناسُ، بل أيضاً تُحوِّل الحلمَ إلى واقع جديد يسير جنباً إلى جنب مع حياة الفرد والجماعة. وفي هذا إشارةٌ واضحة إلى أن تكوين العالَم الشعري ضرورة مُلحة لإنقاذ العالَم الذي نعيش فيه، وليس ترفاً أو جرعةً تخديرية فالقصيدةُ هي المحرِّك الرمزي الوجداني لأنساق المجتمع، وهي الضمانة الأكيدة لتشييد التجانس الإنساني كوَحدة سلوكية مقاومة لاغتراب الفرد في متاهة الواقع الضاغط، واغترابِ الجماعةِ في تحديات الهوية الذاتية. (أبو عواد (http://abuawwad.elaphblog.com/posts.aspx?U139139

وعلى هذا الأساس تلعب اللغة دوراً أساسياً في بناء القصيدة فهي ((عنصر مهم في البناء الشعري، ليست خلقاً، وإنّما نظام من الإشارات والكسوة والكلمات، وهي كأي جزء آخر لها معنى مقسوم منذ الأزل وباقي إلى الأبد)) (ناصف، ١٩٨١، ٤٩)

لذلك تعتبر اللغة بشكل عام أهم وسيلة للتواصل البشري في كل المجتمعات، بها يعبر الناس عن حاجاتهم، وآمالهم، وأحزانهم وأفراحهم، وقد تنبه علماء اللغة العربية القدامى منذ البدايات إلى أهمية اللغة في حياة الإنسان وما تحققه من تواصل بين الأفراد، فتناولوها بالتحليل والوصف وقد عرفها ابن جني قديماً بقوله: ((اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) (ابن جني،٢٠٠١، ٨/١) وهذا التعريف يدل على ارتباط اللغة بالمجتمعات الإنسانية لتحقيق التواصل وتلبية الرغبات فاللغة ((ظاهرة اجتماعية حقّاً، وإنّها أداة تعبير جماعية أولاً وقبل كل شيء، وإنّ اللغة تستمد حياتها وغذاءها من الجماعة وروح الجماعة)) (زكي١٩٨٤ ،٢٥) وتبرز أيضاً أهمية اللغة في كونها الوسيلة الأولى للتعبير عما يدور في العقل من أفكار ومعان ((فلا يمكن تصور فكرة في عقل إنسان بغير كلمة تدل عليها، فلن توجد المعاني في العقل إلاّ باللغة)) (الشايب، ١٩٩٤، ٢٤٨) وتنبع أهمية اللغة الشعرية من كونها ((أحد عناصر الأدب الأربعة التي تعارف عليها النقاد قديماً وحديثاً، وهذه العناصر هي: العاطفة، الخيال، والمعني أو الفكرة، ثم اللغة أو العبارة أو الأسلوب أو الألفاظ)) (أبوعلي، د.ت، ١٦٤) فاللغة عندما تدخل في صناعة الشعر، فإنّها تتخلى عن وظيفتها العادية، إلى وظيفة أكثر سمواً وأرحب أفقاً، وظيفة الجمال التي تكثر منها الرموز والمعاني، فتفتح أبواب التأويل أمام المتلقي والناقد على مصراعيها. فاللغة الشعرية في مفهومها الحديث تتجاوز الوظيفة التي حددها لها "ابن جني" في خصائصه، فلم تعد اللفظة الواحدة أو الجملة الكاملة مقيدة بالمعنى المعجمي المحدد لها والمتعارف عليه بل أصبح تجاوز المعاني المعجمية أهم سمات اللغة الشعرية وذلك لاتساع الوعاء الدلالي للغة الشعرية بما تريد أن تعبر عنه الألفاظ والجمل من خلال ارتباطها ببعضها البعض محدثة إيحاءات خاصة معبرة تعجز اللغة عن توصيلها حسب تعريف ابن جني ((حيث تتطلب لغة أسمى من هذه اللغة العادية، حتى تكون كفاء ما في النفس من عاطفة قوية صادقة)) (الشايب، ٢٩٤) واللغة الشعرية هي البوتقة التي تنصهر فيها المعاني لتأخذ شكلها النهائي المحمل بالدلالات التي يريد الشاعر توصيلها والتعبير عنها، وهذا الشكل يحل في ظاهرة المفردات ولكنّهُ يحمل أيضاً في طياته أكثر من ذلك، إنَّه يحمل إحساس الأديب وشعوره وتجربته الشعورية التي يبثها

للقارئ عبر الكلمات الموحية. ولا تقتصر اللغة الشعرية على رصّ المفردات جنباً إلى جنب، بل تعتمد اعتماداً كلياً على تحميل المفردات مدلولات جديدة وسكبها في قالب جديد مستعيناً بدقة تصويره ووضعه لما حدث، مستعملاً معجمه الخاص الذي يوظف مفرداته في مدلولاتها الجديدة للتوصل إلى ما يريد عن طريق الانزياح والرتابة للغة واستثمار اللغة ((استثمار خاصاً بأن يثير في الكلمة طاقتها الكامنة ويولد منها معاني ذات أبعاد متبانية)) (أبو شريفة، ٢٠٠٨، ٥٩) فقد أصبح الشاعر المغلق هو الذي يستطيع عبر تجربته الفنية أن يكسب للكلمة حضوراً لافتاً في سياقه الشعري الذي يجعلها قادراً على التوحد مع الحدث و((يلفها بهالات إيحائية مضيئة تثمر عطاءً سحرياً)) (فضل، ١٩٩٥، ٢٧) والحضور الجديد للكلمة أو التراكيب الذي يوظفه الشاعر من خلال لغته الخاصة والدلالة التي يريد أن يحملها للألفاظ تنعكس انعكاساً مباشراً على الملتقي حيث تفرض عليه لغة الشاعر التعامل معها والتأثر بها في ثوبها الجديد. ((فالكلمة لا تحمل فقط معناها المعجمي بل هالة من المترادفات والمتجانسات والكلمات، لا تكتفي بأن يكون لها معنى فقط بل تثير معاني كلمات تتصل فيها بالصوت أو بالمعنى أو الاشتقاق أو حتى الكلمات تعارضيها أو تنفيها)) (أوشين، ١٩٨١، ٢٢٤) فاللغة في الصيغة الأدبية تعتمد على خصائص فنية ترتفع بها فوق مستوى لغة الكلام العادي لدى أفراد الإنسانية، إذ تعتمد على طرائق شتى من التفكير والتعبير، والرمز والتصوير، والإيقاع والدلالة.إلى ذلك مما اكتمل من خبرات فنية لدى الأدباء. (نوفل، ١٩٩٥، ٢) فهذه الدلالات المتنوعة للمفردة الشعرية في قاموس الشعراء، كانت نتيجة محتومة للطفرة النوعية في الثورة الاتصالية مع توسع العلوم الإنسانية وتشعبها، والتأثير المتبادل للثقافات، والتيارات الأدبية على لغة الشعر إذن فاللغة الشعرية للشاعر تعبر عن روح عصره وما يجري به محملة بطاقة كبيرة من الانفعالات النفسية للشاعر، وهي في هذا التطور تكون دقيقة في تعبيراتها وإيحاءاتها مبتعدة في ذلك عن التقليد والمحاكاة للألفاظ التقليدية ذات المحمول الدلالي المحدود.(الربيعي،١٩٨٣ ،٢٣) وذلك لأنّ البنية اللغوية ((في عملية التوصيل، لها علاقة مباشرة بالرمزية التي ترى أن وسائل الفن هي التنوع في اللون والشكل... وعلى الشاعر أن يحوّل الكلمات الجارية عن معناها التقليدي بدون أن

يشتق كلمات جديدة، وأن يبرز الكلمات المركب، بعض التناغم الذي لم يعزل بعد، ولكنّه مع ذلك محسوس، ولا تتم هذه العملية إلا إذا أضاء بيت الشعر الكلمة إضاءة خاصة، لأنّ الكلمة المعزولة لا تستطيع مطلقاً أن تأخذ قيمة جديدة، وسياق الكلام هو الذي يميل بها نحو هذا الامتداد أو ذاك))(فيليب ،١٩٧٥، ٢٧٣)

والرمز إيحائي بجوهره لا يكتفي بتصوير الأشياء المادية بل يسعى إلى نقل تأثيرها في النفس بعد أن يلتقطها الحس. كما أنه يهتم بالتعبير عن الأجواء المبهمة التي تتسرب إلى أعماق الذات، وذلك لأن غاية الشاعر الرمزي الوصول إلى خلق حالة نفسية معينة في جو القصيدة. ولما كانت اللغة العادية، التي لا تتعدى الشيء المحسوس عاجزة عن نقل الحالات النفسية المبهمة لجأ الشاعر إلى الرمز لما فيه من قدرة خارقة على ولوج عالم اللاوعي واعتمد الموسيقى لما فيها من طاقات إيحائية غامضة، غير محدودة تساعد على خرق الستار المبهم الذي يلف الذات، ونقل الأجواء النفسية بطريقة مؤثرة بحيث أن اللقطة تصبح الفكرة ذاتها وليس صورة لها (مندور،د.ت،١٤٣) وهكذا نجد العلاقة التكاملية بين الرمز واللغة، أو بمعنى آخر أكثر دقة بين الكلام والرمز، إذ إنّ اللغة قد تشتمل على كل ما بإمكانه المشاركة في عملية الاتصال والتلقي كالكلام والإشارة والصورة والحركة والموسيقى... الخ. فنجد أن الكلام قد يعجز عن الولوج إلى باطن الشيء ولا يتعدى- كما يقول "أنطوان كرم"- حدود الشيء المحسوس، كما يعجز أيضاً عن نقل الحالات النفسية المبهمة. أما الرمز فهو الروح لهذه اللغة حيث ينطق بما يعجز عنه الكلام ويستطيع الولوج إلى العوالم السيكولوجية المبهمة، التي لا يصل إليها الكلام العادي (كرم،١٩٤٧، ١٣) وقد أصبح الرمز ظاهرة فنية أساسية من ظواهر القصيدة الحديثة، ولربما كان الرمز من التقنيات الفنية المشذبة للصخب الغنائي (عبد المطلب، د.ت،٤٣) وقد أدخل تغييراً كبيراً على الشكل والمضمون الشعر العربي عامةً والشعر الفلسطيني خاصة وعلى إثر ذلك قد تطورت لغة الشعر الفلسطيني تطوراً ملحوظاً في التركيب والدلالات وذلك لأنً ((الألفاظ تتطور والعلم يتقدم الحياة وتطور البيئات على اختلاف أنواعها)) (مناع، ١٩٩٤، ١٤١) فشعراء العرب في العقود

المعاصرة بفضل إبداعهم وتجاربهم الفنية، طورّوا لغتهم الشعرية. بما يتناسب مع حجم الحدث الذي ألم بهم، فكان ((التطور في لغتهم متزامناً مع تطور لغة شعراء العرب، وقد أضافوا من خصوصية واقعهم وتجاربهم بعد النكسة وبدايات الانتفاضة الكثير من الألفاظ والتعبيرات والإيحاءات التي أصبحت تمثل معجماً شعرياً مستقلاً، بعد أن أصبح للشعراء لغتهم ومعجمهم الشعري الخاص بما يشتمل عليه من ملامح الشخصية للمجتمع الفلسطيني)) (أبو أصبع، ١٩٧٩، ٢٩٤) وقد أثرت ارتدادات النكسة والانتفاضات الفلسطينية تأثيراً كبيراً في لغة الشعراء الفلسطينيين حيث بدا ذلك التأثير جلياً في تناولهم للأحداث الجارية على أرضهم وكيفية تعاطيهم مع الموضوع وجدية تعبيرهم عما يحدث من خلال ألفاظهم وتراكيبهم وصورهم، وفي هذا الصدد يقول إحسان عباس: ((ولست أعني هنا كيف أصبحت القضية الفلسطينية والأحداث المتصلة موضوعاً للشعر، وإنّما أعني ما الذي خلقته من مواقف وأساليب شعرية ووعي شعري وإلى أي حد غيرت العطاء الشعري، وبلورت المفهومات والمنطلقات الشعرية)) (عباس، ١٩٩٢،٥٠) هذه الأحداث مكنت اللغة من امتلاك طاقات تعبيرية غير محددة في التعبير عن الواقع المعاش لما فيها من دلالات واسعة تحملها الألفاظ المشعة بالإيحاءات والرموز فقد أصبحت ((لغة الشعر الفلسطيني تمتلك طاقات تعبيرية عالية، تتكثف فيها دلالات الألفاظ، وتنفرد الكلمات بالإيحاءات الخاصة)) (العف،٢٠٠٠، ٤٨) ويختلف الشاعر المقاوم الفلسطيني عن غيره من الشعراء تبعاً لجسامة الحدث وثقل المهام الملقاة على عاتقه فهمة ((الشاعر الفلسطيني ذات شقين مترابطين: فأمامه معركة التحرير والانطلاق...، وفي قلبه المعاني، وفي لسانه سلاح الألفاظ يسكبها في قوالب شعرية متينة واضحية وموحية)) (عطوات، ١٩٨٨، ٦١٦)

فاعلية الرمز في النص الشعري الفلسطيني:-

وظّف الشاعر الفلسطيني الرمز كأسلوب أو تقنية تعبيرية في تجربته الشعرية الجديدة، لتعبير عن معانيه المتزاحمة في صدره وذاكرته، ويجد فيها ما لا يجده في البوح المباشر، وبل لأنّها تختصر له المسافات الطويلة من التعبير، بلمحة خاطفة. وإن

كان هذا يعتمد إلى حد كبير على ثقافة المتلقي واستعداده لتقبل هذه الكثافة من الرموز. فالرمز الشعري الذي دأب عليه شعراء فلسطين لتوظيفه ((ليس رمزاً تجريدياً يشير إلى ما وراءهُ وإنّما هو رمز تجسيدي هو وما يرمز إليه شيء واحد وعلى ذلك فالرمز يكون بدلالته لا بطبيعته، أعني إنّهُ لا يكفي الشاعر أن يستخدم رمز القمر ليشير به إلى الحب أو رمز الحمامة ليشير به إلى السلام، أو رمز الناي ليعبر به عن الحزن، وإنّما الرمز يستمد قيمته من السياق الذي يرد فيه، كما يستمد قوة التأثير من ارتباطه بالتجربة الشعرية التي يعافيها الشاعر. وهذا معناه أنَّ الرمز لكي تكون لهُ قوة التأثير الشعري لابّد للشاعر من أن يجيد استخدامه في علاقاته القديمة، ومن أن يضيف إلى ذلك أبعاداً أخرى جديدة، فإذا كان الرمز قديماً كان على الشاعر أن يربطه فكرياً وعاطفياً بالتجربة الحسية المعاصرة، أما إذا كان اللفظ المستخدم جديداً فعلى الشاعر أن يركز فيه شحنته العاطفية والفكرية لكي يرتفع بهِ إلى مستوى الرمز(العشري،د.ت، ٧٧-٧٦) ويتمتع الرمز بقدرةِ التعبيرية عالية، إذ يستطيع الشاعر ((من خلال لفظة واحدة أو أثنين أن يختصر تجربة شعرية كاملة، وأن ينقلها إلينا بسرعة فائقة، مع عدم الإخلال بسمات تلك التجربة أو خصائصها. كما يتميز الرمز بقدرته على التخفي، ولعل هذه السمة التي يتمتع بها الرمز كان لها أثر كبير في دفع الشاعر المعاصر إلى الإكثار من عملية الترميز. ولما يمثله الترميز أيضاً من بديل حي، يستطيع الشاعر المعاصر من خلاله أن يعبر عن كل هواجسه وهمومه ومواقفه، حتى لو كانت تلك المواقف معارضة للأنظمة السياسية السائدة. (حلبي،٢٠٠٧، ٦٧) وعلى هذا الأساس كل شيء يمكن أن يصبح رمزاً، إن تمكن الشاعر من وضعه ضمن علاقات لغوية، رمزية تحمّلهُ معان وإحساسات، ومشاعر جديدة، أو يعيد صياغة علاقات تخلق إحساسات ومشاعر لا تقترب بأي شكل من الأشكال بالمعاني الوضعية وإضفاء عليها نوعاً من الحركة والحيوية لتوليد علاقات جديدة يخلقها السياق الرمزي. ومن هذا المنطق طّوع الشاعر الفلسطيني الكثير من الرموز القديمة والحديثة واستحضرها لمعالجة واقعه المعاصر وكذلك في خلق الوسائل اللازمة لتوليد دلالات حديثة تتماشي مع تجربته العصرية.

أشكال الرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر:-

اتخذ الرمز أشكالاً مختلفة عند شعراء فلسطين ومنها (رمز في اللفظ ورمز في العبارة) أما الترميز بالألفاظ المفردة في الأسلوب الرمزي ((باتت تشكل جزءاً مهماً من مادة الإبداع الفني، فهي تتزاوج مع العاطفة والموسيقي والصورة والفكرة المسيطرة في القصيدة تزاوجاً وثيقاً ولا يكبل الألفاظ في الشعر الرمزي معنى محدود مألوف بل تترك للقارئ مجال التصور والتخيل كما أنّها ليست مصبوغة بصبغة موضوعية فهي في الجملة بصيص أضواء باهتة تؤمي إيماء إلى المعنى المضمر أو مجموعة أصوات تنسجم في إيقاع مرح، فتؤلف تلك الألفاظ بذلك اسلوباً فريداً في الشعر الرمزي يمتاز بالإيحاء والإيماء والإيقاع)) (سلمان،١٩٥٤، ٧١).إنّ المعاناة التي عاشها شعراء فلسطين وشعراء مرحلة الانتفاضة المباركة أكسبت تشكيل ألفاظهم الشعرية أبعادا إيحائية عميقة ((كون هذا التشكيل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعاناة التي يحسّها الشاعر أثناء إبداعه الفني، خاصة أن كل لفظة على حد قول "عز الدين إسماعيل" هي قطعة من الوجود أو وجه من وجوه التجربة الإنسانية، ومن ثم فإن لكل كلمة طعماً ومذاقاً خاصاً ليس لكلمة أخرى، لأنّ التلاحم بين اللغة والتجربة يجعل لكل كلمة كياناً متفرداً عن كل ما عداه)) (الكحلوت،د.ت،٢٩).

فالشاعر الفلسطيني نجح إلى حدٍ كبيرٍ في استغلال الألفاظ الموحية التي من شأنها تثري النص الشعري وتعمل على تطوير دلالاته وفق الواقع الذي يعيشه الشاعر. فلذلك جاء هذا الاستغلال والتوظيف في سياق تحفيز المشاعر وإذكاء الوعي القومي تجاه قضيتي الأرض والاحتلال فكانوا يرمزون بالمرأة إلى الأم والحبيبة أو الزوجة رمزاً للأرض، لما تتمتع به المرأة من قدرة على حمل بذور الإيحاء، وملامح دلالية متجذرة في العطاء والتضحية، وبالنهر للمقاومة، وبالسنديان والزيتون للتجذر والعراقة، وبالغربان والأفعى للعدوّ الصهيوني، وبالحمام للسلام، وبطيور الأبابيل لأطفال الحجارة، وبالعطش للحرية واستعادة الأرض، والنخلة للمقاومة والصمود، وبسيزيف لمعاناة الإنسان الفلسطيني المستمرة، والبرتقال رمزاً لفلسطين و((بالليل والظلام إلى الاحتلال الصهيوني، وبالصمت والثلج، إلى اشتعال الروح الثورية،

وبالنار واللهب إلى اشتعال الثورة، وبالفجر والصباح إلى المستقبل المشرق وبالشمس إلى الحرية والطهارة من الاستبعاد وبالعاهرة إلى السلطة الصهيونية)) (علان،١٤٧) أما رمزية العبارة جاءت ليتمكن الشعراء من بث أوجاعهم والتنفيس عن أحزانهم على مدى أوسع وأشمل وأبلغ تأثيراً. وفي هذا يقول "محمود درويش" ((إنَّ العالم الخارجي الذي يتحول إلى وحدة رمزية واحدة يتداخل في السجن من أجل قضية وتصبح كل العناصر مشاركة في هذه القضية التي يلح عليك السجن بالتشبث بها (السابق، ١٤٧) وحين يقول "هايل عساقلة" في مفتتح قصيدته ((الحقل المهجور)) فهذا يعني أن الوطن أصبح بلا أهل بعد أن طردهم المحتل من أرضهم، وعندما عنّون قصيدتيه بـ ((اغنية على صليب الألم)) و((سطح الدار غطته الطحالب)) فهي صورة أخرى تُؤكد تشريد شعب فلسطين عن دياره، كما هي دليل على إهمال السلطة رعاية الأرض بعد غياب أهلها، بالإضافة إلى ما في هذا التعبير من إشعاع إيحائي حزين يكشف عن مصير الوطن. وحين يقول "يعقوب حجازي"((سأقلع صخرة الأحزان، أقلعها من الجذر)) فإنَّ هذا يشير إلى تصميم عرب فلسطين على طرد الشعب الفلسطيني، تسب له الألم والحزن والعذاب)) (السابق، ١٤٨) فالرمز عند الشاعر الفلسطيني هو ((عنصر تفعيل، وليس تضاداً، ولا إلغاء لمديات النظر أو الاشتغال على عرض مساحة الحدس والرؤيا وفهم العالم وتغيره، بل النظر إليه بحافزية التغيير والتنوير)) (الجزائري، ٢٠٠٠، ١٢٣) فالرمز عند الشاعر الفلسطيني لم يختصر على رمزية اللفظة أو العبارة أو الرمز الأحادي أو المركب بل تعداه إلى عنونة الدواوين والقصائد.

العنونة الرمزية:

سعى الشاعر الفلسطيني على ترميز عنونة الدواوين والقصائد قبل دخوله في حيثيات نصوص القصائد، بصفتها حاملة لدلالات سيميائية وشيفرات إيحائية عبر نظرية الإحالة السيمائية أو سيميائية الرمز المكونة من المحاور الثلاثة (الفكر، والمرجع، والرمز) النظرية التي تهتم بالعلاقة القائمة بين الكلمات وما ترمز إليه هذه الكلمات من أفكار، فالرمز هو الواسطة الرابطة بينهما، والعلاقة كما يعتقد "أحمد حساني"

((بين الرمز والفكرة هي علاقة سببية، معني ذلك وجود الفكرة يقتضي بالضرورة وجود الرمز الحامل الحسي لهذه الفكرة، فالرموز لا تحيل إلى الأشياء إلا بواسطة)) (نقلاً عن بوقاسة، ٢٠٠٦، ٤٤).

فالعنوان كضرورة فنية، يأتي في خدمة العملية الإبداعية قاطبة، فهي ظاهرة إيحائية تحمل إلى النص الشعري الإبداعي أصواتاً أخرى تشاركه في إنتاج الدلالة. فالعنوان يفرز ((معاني جمالية وتجليات خاصة لدى كل قارئ بحسب تصوراته وخبراته وحالته الذهنية وقت القراءة إن هذا العنوان يحمل رؤية للعالم لا تخص المؤلف وحده، لكنّها تقع أيضاً على محور اهتمام القارئ، فتحقق في العنوان وظائف الإغراء والتحريض للقارئ، فضلاً عن وظيفة التعيين والإخبار. ويحمل العنوان بلا شك شحنات دلالية لا تحملها مفرداته فحسب، ولكن موحيات المعاني التي يثيرها في النفوس، والتي تبدو مفاتيح تأويلية للقارئ)) (آل سعد،٢٠٠٥، ١٤٢) لذلك يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية إن فهما وإن تفسيراً، وإن تفكيكاً وإن تركيباً. ومن ثم، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. ((وبالتالي، فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أو علاقات إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية هذا، ولا يمكن مقاربة العنوان مقاربة علمية موضوعية إلا بتمثل المقاربة السيميوطيقية التي تتعامل مع العناوين، وذلك باعتبارها علامات وإشارات ورموز وأيقونات واستعارات (www.dahsha.com/archive/index.php/t43453)

وعلى هذا الأساس استطاع العنوان بوصفه مفتاحاً للنص الأدبي أن يأخذ مساحة واسعة من اهتمامات النقاد والباحثين، لأنه يعتبر ((أول لقاء مادي محسوس بين المرسل والمتلقي، مما قد يفجر ما كان ساكناً في وعي المتلقي أو لاوعيه من خلفية ثقافية أو فكرية يباشر معها المتلقي عملية التأويل)) (حمداوي،١٩٩٧، ٩٦) فالخطاب المقدماتي ما هو في الحقيقة إلا نص مستقل بذاته له بنيته الخاصة ودلالاته ووظائفه المتعددة. ما يرد العنوان في شكل صغير، ويختزل نصا كبيراً عبر التكثيف والإيحاء

والترميز والتلخيص.

ومن أهم الفوائد التي قد تجني من العنونة هي: ((استيلاء الدلالات المتعددة من الدلالة الرئيسية التي تومض من الوهلة الأولى. والتي قد تمثل حقيقة النص الشعري، فتساعد العنونة في استيعاب الفكرة الرئيسة (الثيمة) في النص)) (حيدر محمد جمال، ٢٠١١، ١٢٣٦) فعناوين القصائد والدواوين جميعاً تشع بإيحاءات ((تزداد أو تتعدد بسبب ثقافة القارئ، وتكتسب طاقتها الترميزية من تجاربه وملكاته، بيد أنّها تحتفظ بقدر من الإيهام وعدم التثبت بحيث تفاجئنا بفحوى مختلف، أو متناه في الذكاء عندما تخضع لتحليل ناقد أو متذوق مرهف الحس)) (آل سعد،١٤٤) وعلى هذا الأساس تعتبر العناوين علامات دالة تختزن عالماً من الدلالات الرمزية، وتمتلك طاقات توجيهية هائلة، فهي تنهض بدور تأويلي فعال، بل ((إنّها تتحكم في الرؤيا، وذلك لما لها من علاقة بالغة التعقيد مع مبدعها ومع النص، والأهم تلك العلاقة التي تربط العناوين بمتلقيها. فالعنوان بنية رحيمة تولد معظم دلالات النص ومفتاح تأويلي تمد المتلقي بمجموعة معاني ودلالات تساعده في فك رموز النص وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة)) (حمداوي،٨٩) فمعظم العناوين تحمل إيحاءات ودلالات رمزية مقنعة بوجوه كثيرة منها وجوه أساطيرية وتراثية وتاريخية وطبيعية وغير ذلك من الثيمات، فتفوق هذه المفاتيح يرجع بالأساس لكثرة الدلالات الإيحائية والتعبيرية المكثفة التي تختزن داخل بنية العناوين.

وبناء على ذلك أدرك الشاعر الفلسطيني المعاصر أهمية العنونة وتأطيرها الرمزي وبنائها الفني في التألق الشعري، فتعامل معها بوعي ودراية كاملة وعمل على صياغتها بأسلوب فني مبتكر ونسج حلقاتها من إفرازات فكرية ودينية وتراثية وأسطورية وتاريخية وانتقل بها من الخاص إلى العام لتسهيل عملية القراءة، وتعميق الوعي الثقافي، لأنّ العنوان ((من خلال طبيعة المرجعية والإحالية يتضمن غالباً أبعاداً تناصياً، فهو دال إشاري إحالي يؤمي إلى تداخل النصوص وارتباطها ببعض المحاور والإستلهام، ويحدد بالتالي نوع القراءة المناسبة لها، ويعلن كذلك عن قصدية المنتج أو المبدع وأهدافه الأيدلوجية والفنية، إنّه إحالة تناصية، وتوضيح لما غمض عن

علامات، فهو إذن النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص)) (حيدر محمد جمال، ١٢٣٤) وكثيراً ما يتجه شعراء فلسطين في الداخل إلى اختيار عناوين رمزية بعيدة عن التصريح والمكاشفة بغية التعمية على المحتل والنفاذ ((من بين فكي مقص الرقابة العسكرية، ولما يحويه الرمز من دلالات ومعانٍ أقوي بكثير من الألفاظ المباشرة، وكذلك تعتبر العناوين من أبرز مفاتيح الدلالة، لأنّ الأديب يصب فيه كل ما في عملية الإبداع من تيارات دلالية، وطاقات إيحائية، توحي بما يصطرع في ذهن الأديب من أفكاره، وفي وجدانه من أحاسيس ومشاعر)) (أبوعلي،٢٠٠١، ٩٤) وتعمل أيضاً على جذب انتباه المتلقي، وإغرائه، وتحفيزه لسبر أغوار ما وراء العنوان ورمزيته لكشف ((التيارات الدلالية، والطاقات الإيحائية التي تبشر بجوانب الإبداع المضموني للعمل الفني)) (السابق،٩٥). فبالتالي كما يقال العنوان هو رسالة مسكوكة مضمنة بعلامات مشبعة برؤيا العالم يغلب عليها الطابع الإيحائي.وله قيمة خطيرة في العمل الإبداعي.

نحى الشاعر الفلسطيني في مشروع عنونة دواوينه وقصائده منحى توظيف عناوين زاخرة بالإيحاء والإثارة لانعكاس الأنساق الداخلية التي يتكون منها النص الشعري والدالة على المحيط الفكري والتاريخي والاجتماعي الذي يحيط بالشاعر مما يجعل مفردة العنوان أن تنفتح على أكثر من دلالة إيحائية. وهذا التأثير ناتج عن تأثر الشاعر الفلسطيني بالحداثة الشعرية والنهج السّيميائي واختيار لغة تستطيع أن تسافر بين دلالات مختلفة لخلق عوالم من الإبداع والإبتكار الفني.

ومن أهم العناوين الخارجية للدواوين (ذات الإيحاء والكثافة الرمزية) التي اختارها الشاعر الفلسطيني كالتالي:

ديوان أفق الخيول (٢٠٠٥) للشاعر إبراهيم سعافين والخيول على مشارف المدينة (١٩٨٠) للشاعر إبراهيم نصر الله، ودم حنظلة (١٩٩٢) للشاعر إبراهيم الخطيب، وديوان خيوط الفجر(١٩٨٩) آسية شبلي، وديوان شاهدا على رأس الحسين عليه السلام (١٩٩٤) للسائد السويركي، وديوان آنست ناراً (١٩٨٧) للشاعر سهيل السيد أحمد، وديوان ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (١٩٧١) لسميح القاسم، وديوان جعفر

ابن أبي طالب عليه السلام ينهض من قبره (١٩٧٩) للشاعر عبد الحكيم سمارة، وديوان أنا الحسين (١٩٦٣) للشاعر محمد عبده فريحات، وديوان كنعانيات (١٩٨٨) للشاعر يوسف طافش، وديوان مدينة وقودها الناس والحجارة (٢٠٠٥) لطفي زغلول ، وديوان طير أبابيل (١٩٨٩) للشاعر محمود دسوقي، وديوان ريح النار المقبلة (١٩٩٥) للشاعر المتوكل طه، وديوان عشتار والمطر الأخضر(٢٠٠٧) للشاعر لطفي زغلول، وديوان الأرض المباركة (١٩٨٨) للشاعر عدنان النحوي، وديوان يتوهج كنعان (١٩٩٠) للشاعر عز الدين مناصرة وأيضاً ديوانه جفر (١٩٨١) وديوان النسور (١٩٩١) للشاعر فهد أبو خضرة، وديوان الطوفان (١٩٧٠) للشاعر علي هاشم رشيد، وديوان لماذا تركت الحصان وحيداً(١٩٩٥) للشاعر محمود درويش، وديوان إبداع الحجر(١٩٨٨) للشاعر عبد البديع عراق، وديوان فراشة في سماء راعفة (٢٠٠١) للشاعر عبد الحكيم أبو جاموس، وديوان من دفتر أبي فراس الحمداني للشاعر عبد الكريم عبد الرحيم، وديوان مقام الرضوان (٢٠٠٦) ومقام المليحة (٢٠٠٤) ومقام عمّان (٢٠٠٥) للشاعر عبد الله رضوان، وديوان فجر جديد للشاعر شفيق قبلان، وديوان الزعتر(١٩٨٥) للشاعر طه عبد الغني مصطفي، وديوان متي تنبت السنبلة (١٩٨٤) للشاعر عادل أديب آغا، وديوان قتلوا الحمام (٢٠٠٦) وديوان الدم يورق زيتوناً (١٩٧٢) للشاعر صالح الهواري، وديوان بانتظار الريح الشرقية (١٩٩٦) للشاعر خليل خلايلي، وديوان شموخ النخيل (١٩٩٥) للشاعر خليل الزرو، وديوان زنابق الحقل (١٩٦٣) راجي مارون عبود، وديوان الطريق إلى ليلي (١٩٩٠) رجا سمرين، وديوان خذلتني الصحاري (١٩٩٨) سميح القاسم، وديوان تموز في المدينة (١٩٥٩)للشاعر والأديب جبرا إبراهيم جبرا، وديوان هجرة النوارس (١٩٧٩) للشاعر حسن بلال النويري، وديوان آتون من مدن الرماد (١٩٨٣) للشاعر حلمي الزواتي، وديوان يمر هذا الليل (١٩٧٠) للشاعر حيدر محمود، وديوان رمح لغرناطة (١٩٩٩) للشاعر خالد أبو خالد، وديوان شواطئ الضباب (١٩٨٧) للشاعر خالد نصرة، وديوان صهيل المطر(١٩٨٩) إدمون شحادة، وديوان اختلاط الليل والنهار(١٩٧٩) للشاعر أحمد دحبور، وديوان الجنّة السوداء (١٩٨٥) للشاعر أحمد عبد أحمد، وديوان ذاكرة القرنفل (٢٠٠٠) للشاعر عبد المجيد الكواملة، وديوان سنابل العشق

(١٩٨٠) للشاعر توفيق الحاج، وديوان هلّت من صبرا عشتار(١٩٨٤) أحمد يوسف الريماوي، وديوان أناشيد الفارس الكنعاني (١٩٩٧) للشاعر جابر بطة، وديوان الريح والمطر(١٩٧٤) للشاعر جمال قعوار، وديوان خيول لا تنام (١٩٨٤) جوهرة السفاريني، وديوان شحارير وسنديان للشاعر حسن سواطيري، وديوان النار والطين (١٩٦٦) للشاعر راضي صدوق، وديوان العنكبوت بلا خيوط (١٩٨٩) للشاعر سلمان مصالحة، وديوان أخذة الأميرة يبوس (١٩٩٠) للشاعر سميح القاسم، وديوان غراب أزرق (٢٠٠٨) عبد الله رضوان، وديوان عصافير الرماد (١٩٩٣) للشاعر محمد سلام جميعان، وديوان هو البحر(٢٠٠٩) نعيم عرابدي، وديوان شمس الليل (١٩٨٨) للشاعر عطاء الله قطوش، وديوان من وحي الحجارة (١٩٨٨) للشاعر صبحي ياسين، وديوان وشم علي ذراع خضرة (١٩٧١) للشاعر وليد سيف... وغيرها من عناوين.

من أهم عناوين الداخلية للقصائد ذات الشحنة الإيحائية والإشعاع الرمزي التي ترددت في ديوان الشعر الفلسطيني كالتالي:

قصيدة زرقاء اليمامة، وجنازة البحر الميت، وإمرؤ القيس يصل فجأة إلى قانا الجليل للشاعر عزالدين مناصرة، وقصيدة مع رؤيا حنظلة، وقصيدة أغنية للصليب الأحمر للشاعر محمود درويش، وقصيدة من حكايا سندباد للشاعر عبد الرحيم عمر، وقصيدة حرب السنبلة للشاعر عصام ترشحاني، وقصيدة ترتيل كنعان للشاعر عبد الكريم عبد الرحيم، وقصيدة أنا يوسف يا أبي، وقصيدة أحد عشر كوكبا على آخر المشهد الأندلسي، عابرون في كلام عابر، للشاعر محمود درويش، وقصيدة أمة فوق الصليب للشاعر توفيق زياد، وقصيدة شهرزاد، كأس الخل لمعين بسيسو، وقصيدة نبوءة العرافة، والسيد المسيح في عيده لفدوي طوقان، وقصيدة غداً يطلع الفجر للشاعر محمود دسوقي، وقصيدة يا صلاح الدين لكامل توفيق الدجاني، وقصيدة النكسة لكمال ناصر، وصحراء لمروان العلاّن، ويافا لمحمود نديم الأفغاني، وقيامة الحجر لهايل عساقلة، وقصيدة المطر لماجد أبوغبش، ومطرود من الجنّة للشاعر أكرم عرفات، وقصيدة تشرق الشمس لفوزي الأسمر، والطيور المهاجرة لفوزي عبد الله وقصيدة أوديب ملكاً ليوسف الخطيب، ونار تحت الرماد للشاعر

أحمد عبد أحمد، وزيتونة ليوسف حنّا، والإسراء والمعراج للشاعر وهيب البيطار، ونخلة الحق لمعروف رفيق... وغيرها من قصائد محملة بأكثر من إيحاء ودلالة رمزية وأسطورية وتاريخية وتراثية ودينية.

فالعنونة التي انتقاها الشاعر الفلسطيني لم تكن لمجرد التجميل أو مكيجة مفاتيح الدواوين أو القصائد فتحليل تلك العناوين والعمل على معرفة خيوطها الإيحائية يحتاج جهداً ومعرفة عميقة بكل الظروف النفسية والاجتماعية والزمكانية التي أحاطت بالشاعر لحظة ولادة القصيدة. فالتنقيب حول عنونة (افق الخيول) ومفردة الخيول طبقا لسياق نصوص الديوان قد تقودنا إلى دلالات رمزية عديدة.

فالمتأمل للفظة (الخيل) في العنوان يجدها محملة بإيحاءات ودلالات كثيرة تجعلها بحد ذاتها رمزاً يتكرر عشرات المرات في الديوان، تارة بمعناها الحقيقي، وتارة بمعناها الرمزي، وتارة بمعناها الإنزياحي. فهي لفظة تتمفصل عندها الكلمات وتتعانق وتتشابك مستمدة منها الحركة والنمو متجاوزة الزمكانية، مما جعلها تفرز دلالات حديثة تتماشي مع تجربة الشاعر والظرف الذي يمر به ومن هذه الدلالات، الترميز بالخيل، (للحرية، والعروبة، والأصالة، والحرب، والنضال، والقوة، والشجاعة، والنظرة البعيدة، والأفق المتسامي...)

أما لفظة الحصان المعنونة في ديوان (لماذا تركت الحصان وحيدا؟) لمحمود درويش فهي من أكثر المفردات تميزاً والأكثر حضوراً في معظم قصائد الديوان، ونظراً لسياقاتها المختلفة فإنّ لديها قابلية التشبع بدلالات موحية متنوعة متعددة ((لهذه المفردة والتي تقترن بعالم الصوت الشعري المتكلم بدلالة عنونة الديوان الاستفهامي ومن هذه الدلالات:

١- الإيحاء بالرحيل المباغت إلى عالم مجهول.

٢- دلالة الحياة المستقرة في المكان الأول.

٣- إختزال التساؤلات المثارة في أفق المنفي.

٤- دلالة التناغم والرقص والطرب في عالم هذا المكان.

٥- دلالة الزمن المستعاد المفقود.

٦- الحنين إلى الفطرة البدوية.

٧- فعل من أفعال الانتقال الحاد والعنف.

٨- تمثيل طرف من طرفي التضاد بين نحن والآخرين الذين صاروا أعداء.

٩- دلالة إثارة الإختناق.

١٠- المرواحة والتوزع في متاهات شتى.

١١- الدلالة عن واقعة فاصلة أودت بعالم مكتمل، ودلالات أخرى (خليل خلايلة، ٢٠٠٩، ٢٨٨).

وأيضاً عندما نفتح باب التحليل على عنونة الدواوين الأخرى نجد بوضوح خيوط منسوجة من نسج ديني أو تاريخي، أو أسطوري أو طبيعي خاطت تلك الموضوعات ومنها:

عنونة ديوان (طير أبابيل) للشاعر محمود دسوقي والتي تحمل هذه التسمية دلالات تاريخية وحدثاً تاريخياً مهماً فُصلت حثياته في القرآن في سورة الفيل. أو ديوان (آنست ناراً) للشاعر "سهيل السيد أحمد" والتي تحمل عنونته دلالات دينية مفادها قصة موسى عليه السلام في طور سيناء والذي نص عليها قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/٩-١٢)

وأيضاً عنونة ديوان (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) للشاعر سميح القاسم والذي أُخذت هذه التسمية اقتباساً حرفياً من الآية الكريمة حول إدعاءات الزائفة لليهود بصلب المسيح والذي نفته الآية الكريمة جملة وتفصيلا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٥٧-١٥٨)

وديوان (شاهداً رأس الحسين) للشاعر "سائد السويركي" والذي يحمل هذا العنوان دلالات رمزية تاريخية تكشف مأساة الأمام الحسين عليه السلام في كربلاء وما تعرضه له من ظلم وتعسف في الماضي على يد الظلمة والعتاة، رامزاً برأس الحسين في معادلة موضوعية للشعب الفلسطيني المعاصر الذي يتلاقى الويلات والتعسف البربري يومياً من قبل المحتل الصهيوني.

وعنونة ديوان (بانتظار الريح الشرقية) للشاعر" خليل خلايلي" والذي سعى لتوظيف إحدى عناصر الطبيعة الفاعلة (الريح) في سياق العنوان لتوليد دلالات رمزية. وهكذا نجد الريح في هذه العنونة رمزاً للثورة، والانتفاضة التي تثور في الوطن المحتل والعالم العربي.

وعنونة ديوان (الطريق إلى ليلى) للشاعر"رجا سمرين" والذي أخرج دلالة "ليلى العامرية" من قصة الحب التي عاشته مع حبيبها المبعد عنها "مجنون"في الماضي، للترميز بها للوطن الفلسطيني والذي هام الشاعر في حبّه وراح يبحث عن الطرق التي تؤدي للوصول إلى حبيبته فلسطين. وهناك دلالات عديدة تتعلق بعنونة الدواوين الأخرى التي لا نحبذ الخوض في تفاصيلها خشية الإطالة.

فالعنونة في الدواوين لثلاثية (المقام) للشاعر "عبدالله رضوان" تتجاوز فيه لفظة المقام الحيز اللغوي والمكاني لتنفتح على عدد من الأنساق الدلالي الأسطورية والدينية، وتكاد ((تستوعب أهم العناصر الطبيعية المعروفة وهي التراب والماء والهواء، والمقام، ويقترن المقام مع المساحات المائية وضفاف الأنهار، وهو مكان مفضل لنزول "الخضر" عليه السلام تاركاً آثاره عشباً ونبتاً، ومن ثم فقد تطورت طقوس المقام لتتصل بأحلام الناس وترقباتهم وتشوقهم للآتي مستقبلاً، وقد كانت تلك الإحالات الإسطورية والدينية مدخلاً ثرّاً لدراسة نصوص الشاعر رضوان)) (المعموري، ٢٠٠٥، ٥٤).

أما عنوان ديوان وليد سيف المسمى (وشم على ذراع خضرة) وهو عنوان يأخذ رمزيته التراثية من المكون الأول "وشم"، ويأخذ بروز أثره من المكون الثاني "على"،

ويأخذ رسوخه من التصاق الوشم بالمكون الثالث "الذراع"، ثم يأخذ دلالته الرمزية من المكون الرابع "خضرة". وهذه المكونات مجتمعة ربّما دلّت في معناها الإيحائي على رسوخ الهوية والأصالة الفلسطينية، وبروزها، ووضوحها، فضلاً عن أقدميتها، وبقائها واستمرارها، وهي لازمة للإنسان الفلسطيني، مثلما كان الوشم لازمة لخضرة، وعلامة باقية مائزة لها (سالم،٢٠٠٧، ٦).

وأما عنونة القصائد كعناوين الدواوين أيضاً تحمل معاني فكرية ودينية وأسطورية ومن جملة مفاتيح القصائد الفلسطينية، في هذا المجال قصيدة (زرقاء اليمامة) للشاعر "عز الدين مناصرة" فعنونة القصيدة تحمل في طياتها دلالات تاريخية وأسطورية، فهي تشير لشخصية تاريخية كثر توظيفها في الشعر العربي المعاصر، حتى اتخذها الشاعر المصري "أمل دنقل" في قصيدته الشهيرة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) رمزاً لبيان مرحلة النكسة عام١٩٦٧، ((بينما اتخذها الشاعر الفلسطيني عز الدين مناصرة عنواناً كاملاً لمأساته الفلسطينية،فزرقاء اليمامة فتاة فلسطينية مستمدة من الأغاني الشعبية الفلسطينية الجماعية التي ترافق الدبكة، وهي (جفرا) وهذا المزج التاريخي والأسطوري يضرب في عمق التاريخ وفي العقل الجمعي للشعب الفلسطيني. وهو عصب المأساة المعاصرة حيث لم يستوعب الهزائم المتلاحقة، ورغم تحذيرات هذه الزرقاء التي تحيل إلى زرقاء اليمامة لم يصدقها إلا الشاعر، فالمأساة هنا ليست في الوقائع، ولكنّها في بنية العقل العربي على مدى الأزمنة المتعاقبة)) (الطويرقي،٢٠٠٩، ٦) وعنونة قصائد ديوان (كنعان والكنعنة) للشاعر "عزالدين مناصرة"جمعت بين التاريخ، والجغرافيا، بين المكان والزمان ((إنّه يرجع للذاكرة التاريخية الكنعانية. فالكنعنة رحيل الأشواق نحو الأرض التي نحب،إنّها ارتباط برموز التاريخ في شكل النقوش الكنعانية... فجدنا كنعان ليس إلا رمزاً للتوحد مع العروبة والعالم، إنّها ليست بديلاً حرفياً لفلسطين، الكنعنة لاتعني الأحادية بل هي رمز وتاريخ جمعي، إنّها رفض للإقليمية وداعية للإلتصاق بالأرض إنّها طرق للعالمية)) (حيدر محمد جمال، ٢٠١١، ١٢٢٣) فهذه العناوين تمثل التحام الزمان بالمكان، والتمترس القوي بالتاريخ العربي القديم والأرض ضمن قالب حضاري متجدد، إنّها تباشير النصر

استناداً إلى الرمز التاريخي (كنعان) جد الفلسطينيين الكنعانيين.وعلى هذا الأساس وصلت شعرية العنونة عند مناصرة أرقى درجات الإبداع الفني واللغوي. (السابق، الصفحة نفسها) وفي عنونة أخرى للشاعر بعنوان (جفرا) يجعل الشاعر من هذا الرمز الشعبي أسطورة، اختزل خلالها شحنات ودلالات عديدة، فراحت ترمز للأم والأخت تارة، والمرأة والحبيبة تارة أخرى، والوطن (فلسطين) مرّة.

وفي اختيار الشاعر سميح القاسم لعنونة قصيدته "بالحمام الزاجل المنفي" دلالات ترمز للواقع الفلسطيني المشرد في المنافي البعيد عن الوطن والأحباب إثر هزيمة حزيران عام ١٩٦٧.

أما فاتحة قصيدة الشاعر"اسكندرون في رحلة العمر" تحمل في حناياها بؤرة دلالية إيحائية ترمز إلى الإنسان الفلسطيني المشرد والمهمش في المنافي كما ترمز أيضاً للضياع المواطن العربي وأراضيه.

وفي عنونة قصيدة "أنا يوسف يا أبي" يجد الشاعر محمود درويش في قصة الرمز الديني "يوسف" مادة غنية موحية تستطيع حمل أبعاد تجربة الشاعر المعاصر وتجسيد معاناته وهمومه الفردية والجماعية باعتبارها معادلاً موضوعياً لحالة الإنسان الفسطيني المضطهد، المطعون في الظهر من طرف الإخوة في الدم، الذين تخلّوا عنه ومارسوا ضدّه القمع والنفي. وفي عنونة قصيدة (أحد عشر كوكباً على المشهد الأندلسي) للشاعر محمود درويش، يستحضر الأندلس في فاتحة القصيدة للترميز والتعبير من خلال هذا الاسم التاريخي ذات الإيحاء الإشعاعي على ذاكرة المتلقي، عن حال السقوط والتراجع التي منيت بها المقاومة الفلسطينية في بداية عام ١٩٩١ عندما قررت التخلي عن سلاح المقاومة لصالح المفاوضات العبثية المعروفة بالسلام.

وفي عنونة (زيتونة) لشاعر "يوسف حنّا ناصر" نرى الدلالة التاريخية التي ترمز للوطن وأصالة الإنسان الفلسطيني وعراقته وجذوره بأرضه منذ القدم تخيم على ظلال العنوان.

وفي عنونة (من حكايا سندباد) للشاعر "عبد الرحيم عمر" فقد وجد الشاعر

العربي المعاصر عامة والفلسطيني خاصة في كثير من مغامرات سندباد وتنوعها، إمكانيات فنية رائعة للتعبير عن جوانب تجربته، بحيث تصبح هذه المغامرات ملامح لتجربته المعاصرة بشتى أبعادها.فقد ركّز الشاعر المعاصر على السندباد بوصفه رمزاً من رموز المورث الشعبي، ونموذجاً عربيّاً جسّد الإنسان من خلاله طموحاته ورغباته. وهناك العديد من الدلالات التي توحي إلى معان ومفاهيم فكرية ودينية وتاريخية وطبيعية مما تجعل النص أكثر انفتاحاً وقابلية للتأويل.

فالشاعر الفلسطيني عموماً كان على وعي ودراية كاملة عن اختيار عناوين الدواوين والقصائد بدليل إنّها كلها شحنت بدلالات اشارية وإيحائية ومنها ما اشتملت على الكناية والمجاز والاستعارة وصور المفارقة الإنزياحية وصور إبداعي أخرى.

وأخيراً فالتنقيب عن الدلالات الكامنة في عنونة الدواوين وفاتحة القصائد الشعرية ومعرفة خيوطها عبر قراءة إنتاجية سيوصل الباحث في نهاية المطاف إلى حقيقة هذه المسميات وعلاقتها الوطيدة والرصينة مع القضية المحورية الأولى للأمة الإسلامية والعربية، ألا هي قضية فلسطين، فكل هذه الدلالات الإيحائية المتفرعة من العنونة الخارجية والداخلية تمثل كلها إشارات موحية تعمل على هداية المتلقي وإرشاده على معرفة القضية الكبرى والرمز الرئيسي (فلسطين المحتلة).

نتيجة البحث:ـ

تطور الرمز عند الشاعر الفلسطيني المعاصر من اتجاه أدبي غامض محدد بذاته، إلى وسيلة تعبيرية استطاع الشاعر من خلال تلك الوسيلة أن ينقل رسالته إلى المتلقي في ظروف يشوبها الغموض والكبت والتعتيم. فالرمز عند الشاعر الفلسطيني تحوّل إلى أداة فاعلة لتوليد دلالات معاصرة تتماشى مع تجربته الراهنة. فالرمز في الشعر الفلسطيني اتخذ أشكالاً عديدة طبقاً للمرحلة التي كان يعيشها بدءاً من الترميز باللفظ والترميز بالعبارة، وصولاً إلى ترميز عنونة الدواوين والقصائد،كل ذلك جاء بغية تحفيز المشاعر وتعبئتها بإيحاءات دينية وتاريخية لمجابهة العدوّ الصهيوني. اللافت كل شيء في فلسطين أصبح رمزاً يناضل من أجل استعادة الأرض وتحريرها. فالرصاصة والكلمة والشجر والنبات والأرض والريح أصبحت من العناصر التي

تكافح العدوّ برمزيتها وراحت كل الدلالات الوليدة من العناصر الطبيعية والعنونة الرمزية تدور على محور واحد وتصب في اتجاه واحد ألا وهي قضية الأرض(فلسطين) وتحريرها من براثن المحتل.

الملخص:-

الرموز هي إحدى العناصر الفاعلة التي ساهمت في تشكيل البنية الفنية والجمالية العامة للقصيدة الفلسطينية المعاصرة، كما ساهمت أيضاً بقوة في عملية التطور الداخلي للقصيدة، ووفّرت للشاعر المبدع حلاً أمثل لمعالجة أوضاع واقعه بعيداً عن كل رقابة صارمة، أو حساسية تؤدي بصاحبها للسجن واعتقال كلمته. فكان الشاعر الفلسطيني منذ عهد الاستعمار مروراً باحتلال فلسطين على يد العدوّ الصهيوني يقاتل بالكلمة الصادقة مع الثوار، ولكي تكون قصيدته بمستوى وحجم الكارثة الواقعة (نكبة احتلال فلسطين ونكسة حزيران) على وطنه وأن تكون له رؤية فنية شاملة مترامية الأطراف،جنح نحو الابتكار والتجديد في مضامين القصيدة الكلاسيكية والعمل على تكسير بنيتها؛ لتحرر من قيودها تمهيداً لانفتاحها على الحداثة والتيارات الأدبية الوافدة والاستفادة من تكنيكاتها في نضاله ضدّ المحتل. ومن جملة هذه التيارات الوافدة هو التيار الرمزي أو الإيحائي. الذي لقي رواجاً واسعاً في الأوساط الشعرية الفلسطينية، نظراً لما يمثله من واجهة أمنية وفنية للشاعر الفلسطيني. فغدا استدعائه في الشعر الفلسطيني المعاصر أمراً يثري المضمون الشعري ويدحض عنه الخطابية والغنائية البحتة ويخلصه من السقوط في أوحال السطحية كما يسعف التجربة الشعرية بطاقات إيحائية ويكشف عن المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة. فطبيعة الصراع بين الشعب الفلسطيني والعدوّ الإسرائيلي جعل الرموز المستدعاة تكاد تدور حول موضوعات بعينها ترتبط وتتعلق بذلك الصراع، ولها تأثير مباشر على حياة ومصير الشعب الفلسطيني. فهذا الأمر حدا بالشاعر الفلسطيني على تطوير البنية الدلالية لرموز المستحضرة وفق رؤيته المعاصرة، تمهيداً للتعبير عن أفكاره وقضاياه الوطنية المعاصرة. فهذا المقال والذي اعتمد في خطتها على المنهج الوصفي التحليلي، يهدف إلى الكشف عن ظاهرة الرمز والعنونة الرمزية

وتوظيفها في الشعر الفلسطيني المعاصر لإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي ظاهرة الرمز والعنونة وإيحاءاتها في النص الشعري الفلسطيني؟ ما هي دوافع الشعراء في استدعاء الرموز؟ وما هو أثر الرمز والعنونة الرمزية على التجربة الشعرية وما أثر هذا التكنيك التعبيري على المتلقي في تحفيزه للنضال ضدّ المحتل الصهيوني.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إبن جني (٢٠٠١): الخصائص، المجلد الأول، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أبو شريفة، عبد القادر(٢٠٠٨): مدخل إلى تحليل النص الأدبي، عمان، دار الفكر.
- أبوعلي، نبيل، خالد(د.ت): شاعرات عصر الإسلام الأول، القاهرة، دار الحرم للتراث.

أبوعلي-------- (٢٠٠١): في نقد الأدب الفلسطيني، منشورات إتحاد الكتّاب الفلسطينيين.

- أوشين، ورينه (١٩٨١): نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي وخالد الطرابيشي،دمشق.
- آل سعد، نورة (٢٠٠٥): أصوات الصمت، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- بوقاسة، فطيمة (٢٠٠٦): جميلة بوحيرد الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
- الجزائري، محمد (٢٠٠٠): تخصيب النص - الأسطورة - السيرة الشعبية، عمّان، منشورات أمانة عمّان.
- حداد، علي (١٩٨٦): أثر التراث في الشعر العراقي، بغداد، دار الآفاق.
- حلبي، أحمد طعمه (٢٠٠٧): التناص بين النظرية والتطبيق، شعر البياتي نموذجاً، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب.
- حمداوي، جميل (١٩٩٧): ((السميوطيقا والعنونة)) مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٥، العدد٣.
- حيدر محمد جمال، أحمد (٢٠١١): ((شعرية العنونة عز الدين مناصرة نموذجاً))، مجلة الجامعة الإسلامية غزة،العدد٢.

- خليل خلايلة، محمد (٢٠٠٩): ((قراءة في ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً؟)) مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها،العدد الأول.

- الربيعي، محمود (١٩٨٣): مقالات نقدية، القاهرة، مكتبة الشباب.

- الزبيدي، مرشد (١٩٩٤): بناء القصيدة الفني في النقد القديم والمعاصر، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

- زكي، محمد (١٩٨٤): قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، بيروت، دار النهضة.

- سالم محمود، ميسّر (٢٠٠٧): مظاهر الإبداع الفني في شعر وليد سيف، رسالة ماجستير،جامعة الخليل، فلسطين.

- سلمان، نور (١٩٥٤): معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية في بيروت.

- الشايب، أحمد (١٩٩٤): أصول النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

- الطويرقي مشعل، محمد (٢٠٠٩): ((تجليات زرقاء اليمامة في الشعر العربي المعاصر)) مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها.

- عبد المطلب، مناف جلال (د.ت): الرمز في شعر السياب، بغداد، دار الشؤون الثقافية.

- العشري جلال (د.ت): ((أزمة الشعر الجديد والبكاء بين يدي زرقاء الحمامة)) مجلة الفكر المعاصر،العدد١٦.

- عطوات، محمد عبد الله (١٩٩٨): الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

- العف، عبد الخالق (٢٠٠٠): التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، فلسطين، وزارة الثقافة.

- علان، إبراهيم (١٩٩٥): الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال من العام ١٩٤٨ - ١٩٧٢، الشارقة، مطبعة الشهامة.

- فضل، صلاح (١٩٩٥): شفرات النص، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة.

- فيليب، فان تيغيم (١٩٧٥): المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ترجمة فريد انطونيوس، بيروت، دار عويدات.

- الكحلوت، يوسف.(د.ت): الأدب المقاوم في فلسطين دراسة نقدية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة.

- كرم، أنطوان (١٩٤٧): الرمزية والأدب العربي الحديث، بيروت، الجامعة الأمريكية.

- كروب، محمد (١٩٨٤): كتابات نقدية، لبنان، بيروت، دار الفارابي.

- كندي، محمد علي (٢٠٠٣): الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، السياب ونازك والبياتي دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١.

- المعموري، ناجح (٢٠٠٥): نون والقوس، قراءة في ثلاثة نصوص للشاعر عبد الله رضوان، عمان.

- مناع، هاشم صالح (١٩٩٤): بدايات في النقد الأدبي، بيروت، دار الفكر العربي.

- مندور، محمد (د.ت): الأدب ومذاهبه، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

- ناصف، مصطفى (١٩٨١): دراسة الأدب العربي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.

- النقاش، رجاء (٢٠٠١): محمود درويش شاعر الأرض المحتلة القاهرة، دار أطلس للنشر والتوزيع.

- نوفل، يوسف حسن (١٩٩٥): أصوات النص الشعري، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر.

- يخلف، يمني (١٩٧٧): مقابلة مع الشاعر عبد الوهاب البياتي مجلة الجامعة، العدد٤.

- أبو عواد http://abuawwad.elaphblog.com/posts.aspx?U139139 (www.dahsha.com/archive/index.php/t43453)